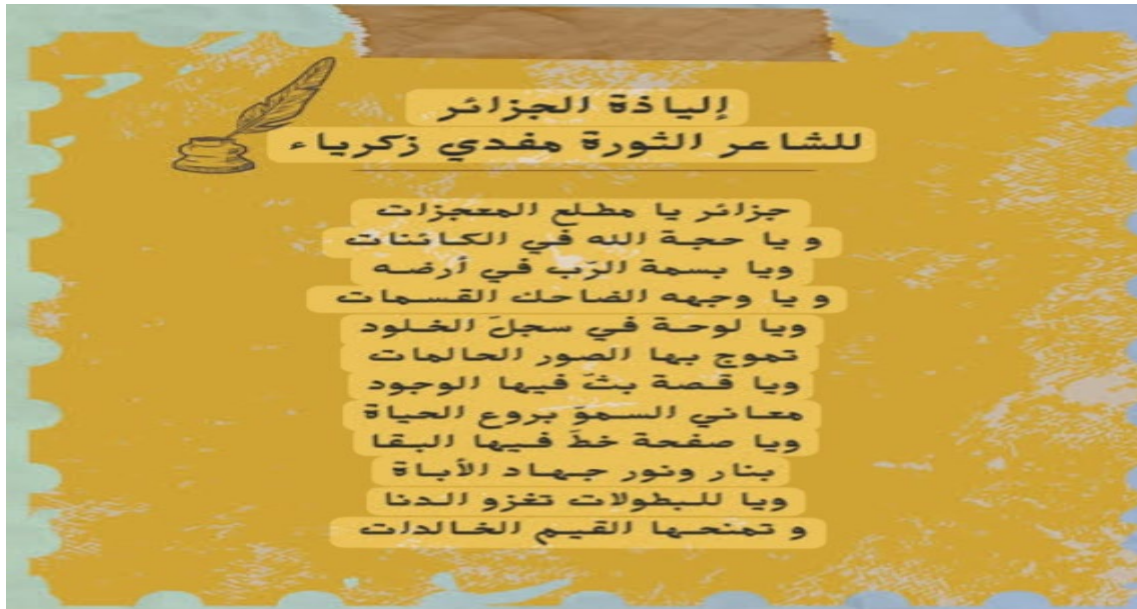


المحاضر 05: إلياذة الجزائرل: مفدي زكريا.

مقدمة: من قلب المعاناة ومن صميم الكفاح المسلح، انبعث صوت شاعر الثورة – مفدي زكريا- ليصيغ دستورها الأدبي الخالد في إلياذة الجزائر، نجد الشاعر يتحول إلى مؤرخ يلبس حلة الأديب، حيث لم يكتف برصد أحداث الثورة التحريرية، بل عاد بنا إلى الجذور، ليثبت للعالم أن الجزائر أمة ضاربة في عمق التاريخ، فكانت كلماته منقوشة بصوت الرصاص وعطر الشهداء، ومنها ما يلي:



1/ مناسبة الإلقاء:

ألقيت بمناسبة الملتقى السادس للفكر الإسلامي في قاعة المؤتمرات في قصر الأمم أمام جمع غفير ومنهم الراحل هوارى بومدين.

بدأت قصة الإلياذة بعد اتصال المرحوم نايت بلقاسم بالشاعر بداية سنة 1972م طالبا منه نظم الإلياذة وتم التعاون بينهما مع عثمان الكعاك، وهكذا نشأت إلياذة ونمت وترعرعت حتى صارت مكتملة ومن بداية العام حتى تاريخ انعقاد الملتقى صارت 610 أبيات تلاها الشاعر بصوته في افتتاح الملتقى وسجلتها الإذاعة والتلفزيون الجزائري يوم 13 جمادى الثانية أمام: أساتذة، دكاترة، ومشايخ من القارات الخمس ورجال السياسة لتواصل الإلياذة مسيرتها التأليفية لتصل إلى الألف بيت.¹

¹ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1992م، ص 11

وفي هذا يقول المرحوم مولود قاسم "وسمينها إلياذة الجزائر وإن كانت تمتاز عن إلياذة هوميروس بالفارق العملاق: فبينما هذه الأخيرة أي الإلياذة اليونانية لا تروي الأساطير نجد إلياذة الجزائر قد خلدت أمجادا حقيقية وسطرت تاريخ ووقائع وأحداث هي من روائع الدّهر لا من خلق الجن ولا من اصطناع شاعر ولكن من صنع الإنسان الجزائري في الميدان وقد قسمها مفدي زكريا إلى جزئين قسم الجمال أي الجمال الطبيعي للبلاد وقسم الجلال أي المجد التاريخي وإن تداخل القسمان أحيانا"¹.

2/ مواضيع الإلياذة: تناولت الإلياذة موضوع ملحمي قصة شعب في نضاله ضد الاحتلال، فهي أروع تاريخ للجزائر وتحدث عن أحداثها المختلفة كما يلي:

✓ طبيعة وجمال الجزائر: حيث خصصت المقاطع العشر الأولى من القسم الأول للجمال الطبيعي للبلاد "عاصمتها البيضاء، حمام ملوان، الشريعة، حمام ريغة، بجاية، جيجل، تلمسان، البليدة، قصر البخاري، الجلفة ويختم المقطع بقوله:

فيا أيها الناس هذه بلادي معبد حي وحلم فؤادي.

ويقول الشاعر كذلك:

جزائريا بدعة الفاطر	ويا روعة الصانع القادر.
ويا بابل السّحر، من وحيا	تلقب هاروت بالساحر.
ويا جنة غارمنها الجنان	وأشغله الغيب بالحاضر.
ويا لجة يستحم الجما	ل ويسبح في موجه الكافر.
ويا ومضة الحب في خاطري	وأشراقة الوحي للشاعر.
ويا ثورة حار فيها الزمان	وفي شعبي الهادي الثائر.
ويا وحدة صهرتها الخطو	ب فقامت على دمها الفائز.
ويا همة ساد فيها الحجى	فلم تك تقنع بالظاهر.
ويا مثالا لصفاء الضمير	يجل عن المثل السائر.
سلام على مهرجان الخلود	سلام على عيدك العاشر.

شغلنا الوري، وملأنا الدّنا.

بشعر نرتله كالصلاة.

تسايحه من حنايا الجزائر¹

✓ الجانب التاريخي: تناولت الإلياذة تاريخ الجزائر – القديم، الوسيط، المعاصر- حيث تناولت تاريخ تأسيس الجزائر العاصمة واسترجاع السيادة الوطنية كما عرجت على تاريخنا الماضي الأمازيغ، تأسيس الرستميين أول دولة على أرض الجزائر والشخصيات الأدبية التي عرفتها الفترة – بكر بن حماد، أفلح بن عبد الوهاب-، الدولة الأغلبية، الفاطمية الموحدية، ومن الشخصيات الثعالبي، أبو مدين شعيب، الحملات الصليبية ارتباط الجزائر بالعثمانيين جوع فرنسا وطلبها القمح من الجزائر، حادثة المروحة الاحتلال، المقاومة والثورات الشعبية، الثورة التحريرية، يقول مفدي زكريا:

وأوقفت ركب الزمان طويلا أسأله عن ثمود وعاد....

وعن قصة المجد من عهد نوح وهل إرمهي ذات العماد؟

فأقسم هذا الزمان يمينا وقال الجزائر.....دون عناد"²

¹ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، ص 20.

² - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، ص 37.



3/ مفدي زكريا: ولد سنة 1913م في قرية بن يسقن الواقعة في واحة بني مزاب أين قرأ القرآن بدءا من الكتاتيب ثم انتقل إلى تونس حيث مكث فيها سنين في مدرسة – السلام القرآنية- ثم الدار الخلدونية ثم جامع الزيتونة وبعدها عاد للجزائر والتحق بجيش التحرير الوطني وكان التحاقه بها ليتبلور من خلال الشعر الثوري الأمر الذي أدى إلى سجنه عدة مرات هرب من السجن سنة 1959م ملتحقا بصفوف جبهة التحرير الوطني بالخارج، لقبه زميل البعثة سليمان بوجناح ب- مفدي – فأصبح لقبه الأدبي وكان يوقع أشعاره ب- ابن تومرت-.

توفي في 17 أوت 1977م في تونس ودفن بالجزائر.

4/ إنتاجه الأدبي:

- ✓ ديوان اللهب المقدس.
- ✓ تحت ظلال الزيزفون.
- ✓ كتاب: الأدب العربي بالجزائر.
- ✓ تاريخ الصحافة العربية.

✓ أقطاب الفكر العربي على الصعيد العالمي.

5/ مذهبه الشعري: ومفدي زكريا من الذين أخرجوا الشعر الجزائري من التقليد وألبسوه ثوب الواقعية فقد اتخذ من الواقع النضالي أرضية لغته وشعره وأما فيما يتعلق بالشكل فإنه التزم عمود الشعر العربي وأجاد في سبكه وشعره يكاد أن يملك وحدة الموضوع وقد ساعده في ذلك ملكته اللغوية.

6/ تطبيق: حلل القصيدة التالية

تأذن ربك ليلة قدر وألقى الستار على ألف شهر.
وقال الشعب: أمرك ربي وقال له الرب أمرك أمري.
ودان القصاص فرنسا العجوز بما اجتاحت من خداع ومكر
ولعل صوت الرصاص يدوي فعاف اليراع خرافات حبر
وتأبى المدافع صوغ الكلام إذا لم يكن من شواظ وجمر
وتأبى القنابل طبع الحروف إذا لم تكن من سبائك حمر
وتأبى الصفائح نشر الصحائف ما لم تكن بالقرارات تسري
ويأبى الحديد استماع الحديث إذا لم يكن من روائع شعري.
نوفمبر غيرت مجرى الحياة وكنت نوفمبر مطلع فجر
وذكرتنا في الجزائر بدرا فقمنا نضاهي صحابة بدر
شغلنا الورى وملأنا الدنيا
بشعر نرتله كالصلاة.
تسايحه من حنايا الجزائر.

ملاحظة: حفظ القصيدة ضروري.